

اريج الخليج

او

تذكار القسطنطينية

لحضرة الكاتب الفاضل قسطاكي افندي الحمصي

اما القسم الثالث وهو الخليج فالمراد منه القرى او البلاد الصغيرة التي على ضفتيه ممتدة على مدى البصر مسافة ساعتين او اكثر على جري البواخر الخيرية . وكل هذه القرى مصايف لا غنىء القسطنطينية واكابرها وبها الفنادق الواسعة والمطاعم الكثيرة والدساكر العديدة والحانات الجميلة والدور المزخرفة والمنازل الرحبة والجواسق الانيقة والقصور البديعة وبها لسفراء الدول صروح تكتنفها البساتين والجنان . وبها كثير من الاودية والهضاب وكلها مكتسية بالاشجار الباسقة المشتبكة والادغال المحتبكة والمروج والغياض والازهار والرياض والعيون تتدفق بماء يروي عن السلسيل والعروش احكمتها يد الطبيعة للمبيت والمقبل لا يدخلها النسيم حتى يغدو بليلاً ولا تصدح اطيالها الا ترتيلاً وفوق كل هذه البدائع منظر

الخليج الرائع

بقعة خصها الاله ببعض من مزايا فردوسه العلوي

فهي تجلو لآعين الحس شيئاً من كمالات حسنه المعنوي

اما القسم الرابع من هذه العاصمة وهو بيك اوغلي او ييرا فهو محط رحال الفرنجة الذين يقصدونها واكثر شوارعهم مستقيمة غير ان بلاطها لا يختلف عن استنبول وباقي الاقسام فهو من الظران التي تفري الاقدام وتثقب

العظام الا الشارع الكبير المعروف بالشارع المستقيم (طوغري يول) وبعض الجواد التي لا تتجاوز عدد الانامل . وفي هذا القسم اشهر الفنادق والمطاعم ودور القهوة والكثير منها يحاكي ما في عواصم اوربا اتقاناً وزينة واطرافها فندق « ييرا بالا ص » لحسن موقعه وجمال هندسته وثمين اثاثه . وفي هذا القسم قصور سفارات الدول كلها واكثرها مغاني واسعة في وسط بساتين وحدائق منسوقة احسن نسق . وفيه بساتين عامة يستأجرها اناس من الدوائر البلدية يدفع داخلها غرماً واحداً وهي مرتبة على الطريقة الفرنسية لا تختلف عن بساتين اوربا العامة في شيء واكثرها يطل على البحر وما حوله وبها كراسي ومقاعد لمن يرغب في شرب شيء من القهوة او الشراب فيدفع قيمة ذلك . وفي هذا القسم من المدينة كثير من الدكاكين التي تحاكي دكاكين اوربا في كثرة السلع وحسن تنسيقها الا ان الباعة بها ليسوا على شيء من رقة وآداب باعة اوربا فاذا سألت احدهم عن قيمة السلعة نظر اليك اولاً من الفرق الى القدم وتفرس فيك لينظر هل انت اهل لمشتري سلعته فان احسن بك الظن اقبل عليك واستام منك اربعة او خمسة اضعاف القيمة فان كنت غراً او خجلت من المساومة وسعرت السلعة بنقص قليل عما استام بها انشب فيك اظفاره وقبض منك القيمة كلص في رائعة النهار بلا خجل ولا استحياء وخرجت من دكانه بصفقة المغبون وان لم يحسن بك الظن اي راك ممن لا تنفذ فيهم مخرقة المحتالين اقبل اليك متقللاً ثم عند تسعيرك السلعة ينظر اليك باستنكاف كأنه يأسف على الكلمة التي اضاعها بالقائها على مسمعك ثم يولي وجهه عنك بمنتهى الحشونة واكثره ولا هم

الارمن ثم الروم فالفرنجة لكنهم على درجات متفاوتة في القحة والاحتيا
وفي هذا القسم محلة غلطة التي هي على ساحل الخليج وهي مركز تجارة
الآستانة فيها أكثر دور البرد الاجنبية والعثمانية ايضاً والمصارف والبيوت
التجارية الكبيرة ويُنزل اليها من بيك اوغلي بمئة وست درجات وقد
يذهب اليها من طريق اخرى اطول بركوب المركبات الحديدية (الترامواي)
ولتقريب المسافة والوصول باتم الراحة قد خرقوا نفقاً تحت الارض تجري
فيه مركبات بخارية مربوطة بجبال من شريط الحديد اذ انها تنزل بكل
سهولة لشدة الانحدار الكائن بين بيك اوغلي وغلطة لكن اصعابها
لا يتيسر بغير هذه الجبال التي تمنعها من الرجوع القهقري فيصل الراكب فيها
باقل من دقيقتين الى احدى المحلتين صعوداً ونزولاً باجرة لا تزيد عن
الثلاثين بارة ولا تنقص عن العشرين . ومن محلة غلطة هذه يذهب الى
استنبول ولكن لما كانت المسافة بينهما تزيد على الساعتين لاضطرار الذهاب
ان يدور حول اللسان المسمى بقرن الذهب الممتد من الخليج فاصلاً بين
القسمين فقد مدوا منذ عهد قريب جسرين من الخشب على اقواس وقوائم
حديدية فوق قرن الذهب المذكور تمر عليهما المركبات والحيل والناس فيصل
الماشي في اقل من عشر دقائق ويدفع للعبور على احد الجسرين عشر بارات
واما المراكب فيُدفع لعبورها غرشان ونصف

وفي جميع اقسام الآستانة وبعض قرى الخليج الكبيرة يوجد مجالس
او كما يقال دوائر للبلدة تسمى الدوائر البلدية واكثرها اهتماماً دائرة بيك
اوغلي . لكن هذه الدوائر بالاجمال لا تختلف في نقص العناية وقلة الهمة

عن سائر بلديات الولايات وهذا مما يستوجب مزيد الاسف فقد سمعت
كثيرين من الاجانب يقولون الآستانة في الشتاء بلد الاوحال وفي الصيف
مدينة الغبار واكبرها على العموم يتشكون من ذلك
ومن منازل الآستانة منزلة الكاغدانة وهي ميدان ذو مروج اريجة
واقع عند آخر قرن الذهب يجري فيه نهر تنضب مياهه في الصيف لكنه
في الربيع - وهو الفصل الذي يُقصد فيه المنزهة المذكورة - كثير الماء الى
حد ان تجري فيه الزوارق الصغيرة آتية من الخليج وقد تذكرت به قول البهاء
زهير في النيل

حبذا النيل والمراكب فيه صاعدات بنا ومنحدرات
والمنزهة المذكورة هي في الربيع موعد الهناء وجمع الصفاء يحتال فيها
من ذوات الحدور وربات القصور كل ظبية انيسة وفتنة للعقول
نفيسة قد لبست من انتم الحرير جلاب وذهبت في انواع الدلال
مذاهب تسير بهن المركبات دائرات وتنطف متمهلات وتجري
بهن الزوارق والقلوب خلفهن خوافق فهناك مئات من الفتيان والشبان
قد لبسوا آخري من الملابس وأفرغوا من الحسن في اكل قالب وليس
لهم من كل ما ينظرون غير خلّس الحديث وما يوحيه سحر العيون . وبالجملة
فالمكان في هذا الفصل مصرع العشاق ومسرح الغزلان

وفي هذا القسم من المدينة منزل رب المكارم العربية وععيد السلالة
الشريفة الصيادية وكبير مشايخ الطريقة الرفاعية امام الصلاح والتق
حضرة صاحب السماحة سيدي الشيخ ابي الهدى

مبارك الأسم اغر القلب كريم الجرشى شريف النسب
وجوسقه هذا محط رجال الناطقين بالضاد من جميع الامصار والبلاد
والشيخ حفظه الله قبلة آمالهم ومنتجع نوالهم يستقبلهم بصدره الرحب
ووجهه الطلق لسانه العذب وهو احد صدور دولة آل عثمان وفرد من
افراد الزمان قطب الآداب والعلوم ومالك ازمة المنشور والمنظوم وبالجملة
فكانه من الفضل معروف وبالمزايا الهاشمية موصوف من قوم هم
بيض الوجوه كريمه احسابهم شم الانوف من الطراز الاول
وفي هذا القسم دور الاستشفاء لمرضى الفرنجة وغيرهم شادها بعض
السفراء وفيه دار العجزة التي بُنيت باصر امير المؤمنين مولانا السلطان
عبد الحميد خان الثاني وهي احدى عجائب هذه العاصمة وقد بُدِل في سبيل
بنيانها ستون الف ليرة عثمانية ونيف وبها كنائس كثيرة وليس بينها
ما يستحق الذكر ومن ابنتها الجميلة دار المصرف العثماني ودار حصر الدخان
وفي هذا القسم دار بطريكية الارمن الكاثوليك ايضا
وفي هذا القسم قصور عديدة شيدها السلاطين العظام من آل عثمان
كغلطه سراي وهو اليوم دار المكتب السلطاني المتقدم الذكر وطولمه
بغجه سراي وهو الذي بناه ساكن الجنان السلطان عبد الحميد خان
والد مولانا امير المؤمنين . وهذا القصر مبني على ساحل الخليج ممتد على
طول الف متر أو أكثر ومعظم حجارتها من المرمر الابيض محفور عليها
نقوش تحاكي الورود والازهار والعروش والاكاليل والباقيات مطلية كلها
بماء الذهب وحوله جنات وحدائق غناء . وبهذا القصر الردهة الشهيرة التي

يقال انها تستوعب خمسة آلاف نفس وهي مزينة بالنقوش البديعة ومدهونة
بالالوان الزاهية واكثر ذلك مزوق بماء الذهب . وفي هذه الردهة يتقبل
جلالة الخليفة الاعظم تهاى اركان الدولة في عيدي الفطر والنحر . وفي
القسطنطينية قصور عديدة غير هذه واعظمها شأنًا وارفعها جلالاً قصر
يلدز العامر وهو سلسلة قصور عظيمة بديعة على ارفع جبال هذا القسم
منها تحيط بها جنات وحدائق وادغال واحواض ورياض وسواقٍ جارية
وعيون دافقة وهضاب واودية قد كُسيَت بالمروج الخضرة وظللتها الافنان
النضرة وازدانت بالازهار البديعة والورود الغريبة الكثيرة الالوان وفيها
طرقات تسير عليها المركبات وقد حتمها الاشجار الباسقة من حر الشمس
فصح فيها قول الشاعر

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاء مضاعف الغيث العميم

حللنا دوحه فمنا علينا حنو المروضات على القطيم

وهذا القصر العامر يطل من اكثر جهاته على الخليج الذي هو من
اجمل مناظر الطبيعة وابدعها وهو اليوم مستقر العز والجلال ومنبع الفيض
والنوال ومطلع انوار العظمة والكمالات ومنه توزع النعم على صنوف
المخلوقات وبهيبة سلطانه تحقق الابصار من جميع الامصار ولربه
امير المؤمنين مولانا السلطان عبد الحميد الثاني يخضع كل العثمانيين
والمسلمين حرس الله مهجته وادام بالاعزاز والنصر دولته
أمين آمين لا ارضى بواحدة حتى اضيف اليها الف آمينا